إلى البلاغة ، تلك النظرة الصفراء المشمئزة . إذ ألم نلقّنهم - في آخر سنة من سنوات دراستهم الثانوية - عيوبَ الأدب في عصور الدول المتتابعة وسمّينا لهم ذلك الأدب « أدب الانحطاط » وجعلنا أكبر عيوبه تعلّقَ أدبائه بالصنعة البديعية والبيانية ؟؟ وهل فهم الطلاب - حتى تلك السنة، إذا كانوا قد فهموا شيئاً من البلاغة - سوى أن البلاغة تشبيه أو استعارة وسجع وجناس وتورية وطباق ومقابلة ...

لقد فتحنا أنظار طلابنا على البلاغة يوم تحجّرت، ولم ندلهم عليها يوم كانت ذَوْبَ الذوق العربي الأصيل ، وثوب الجمال الفني الرائع البديع ... ثم جئنا اليوم - في كلية الآداب - نطلب إليهم دراستها والعناية بها، وما هي في نظرهم إلا جثة محنطة ..

لقد عرفوا البلاغة في جزئيات تافهة منها ، وحتى هذا القليل التافه لم يعرفوه إلا من خلال حدود أو تعريفات مدرسية، وقوالب جامدة، وصنعة متكلفة متصيّدة . فأين منها العلم ؟ وأين منها الذوق ؟ وأين منها الجمال ؟ بل أين منها حقيقة البلاغة ؟؟ .

وهل عرف العربي البلاغة - يوم عرفها - حدوداً وتعريفات ؟ إنه عرفها يوم بدت جلية لناظريه، فجذبت سمعه، وخلبت لبه، وتمثلت